هو

۱۲۱

تفسیر الصافی

الجزء الرابع

ملامحسن فیض کاشانی

به‌کوشش: زهرا خالوئی

فهرست

في الكافي عن الصادق عليه السلام قال خلق من خلق اللّه عزّ و جلّ أعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يخبره و يسدّدهُ و هو مع الأئمّة عليهم السلام من بعده و في رواية منذ انزل اللّه ذلك الروح على محمد صلّى اللّه عليه و آله ما صعد الى السماء و انّه لفينا.
ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ اي قبل الوحي وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادنا.
في الكافي عن الصادق عليه السلام انّه سئل عن العلم ا هو شيء يتعلّمه العالم من أفواه الرجال ام في الكتاب عندكم تقرءونه فتعلمون منه قال الأمر أعظم من ذلك و أوجب اما سمعت قول اللّه عزّ و جلّ وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ ثم قال أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية أ يقرءون أنه كان في حال لا يدري مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ فقلت لا ادري جعلت فداك ما يقولون فقال بلى قدكان في حال لا يدري مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ حتّى بعث اللّه عزّ و جلّ الروح التي ذكر في الكتاب فما أوحاها إليه علم بها العلم و الفهم و هي الروح التي يعطيها اللّه عزّ و جل من شاء فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم.
و القمّي عن الباقر عليه السلام وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً قال يعني عليّاً عليه السلام و عليّ هو النّور هدى به من هدى من خلقه وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ قال يعني انّك لتأمر بولاية عليّ عليه السلام و تدعو اليها و عليّ عليه السلام هو الصراط المُستقيم
صِراطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماوات وَ ما فِي الْأَرْضِ.
قال يعني عليّاً عليه السلام انّه جعل خازنه على ما في السموات و ما في الأرض من شيء و ائتمنه عليه.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول تدعو أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ بارتفاع الوسائط و التعلّقات و فيه وعد و وعيد للمطيعين و المجرمين.
في الكافي عن الباقر عليه السلام قال وقع مصحف في البحر فوجدوه و قد ذهب ما فيه الّا هذه الآية أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ.
في ثواب الاعمال و المجمع عن الصادق عليه السلام من قرأ حمعسق بعثه اللّه يوم القيامة و وجهه كالثلج اوكالشمس حتّى يقف بين يدي اللّه عزّ و جلّ فيقول عبدي أدمنت قراءة حمعسق و لم تدر ما ثوابها اما لو دريت ما هي و ما ثوابها لما مللت قراءتها و لكن سأجزيك جزاءك أدخلوه الجنّة و له فيها قصر من ياقوتة حمراء أبوابها و شرفها و درجها منها يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها و له فيها حوران من حور العين و الف جارية و الف غلام من الغلمان المخلّدين الذين وصفهم اللّه تعالى.

سُورة الزخرف

(مكّيّة عدد آيُها تسع و ثمانون آية) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
حم.
وَ الْكِتاب الْمُبِين.
إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا اقسم بالقرآن على انّه جعله قُرْآناً عَرَبِيًّا و هو من البدائع لتناسب القسم و المقسم عليه لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لكي تفهموا معانيه.
وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ في اللّوح المحفوظ فانّه اصل الكتب السّماوية و قُرئ امِّ الكتاب بالكسر لَدَيْنا لَعَلِيٌّ رفيع الشّأن حَكِيمٌ ذو حكمة بالغة كذا قيل.
و في المعاني عن الصادق عليه السلام هو امير المؤمنين عليه السلام فِي أُمِّ الْكِتابِ يعني الفاتحة فانّه مكتوب فيها في قوله تعالى اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ قال الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ هو امير المؤمنين عليه السلام و معرفته.
و القمّي ما في معناه.
أَ فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أ نهملكم فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ اي نذوده و نبعده و نعرض عنكم اعراضاً.

و عنه عليه السلام قال ماكان من ولد آدم عليه السلام مؤمن الاّ فقيراً و لاكافر الاّ غنيّاً حتّى جاء ابراهيم عليه السلام فقال رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذينَ كَفَرُوا فصير اللّه في هؤلاء اموالًا و حاجة و في هؤلاء اموالًا و حاجة.
وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ يتعامى و يعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات و انهماكه في الشهوات نُقَيِّضْ نسبّب و نقدر لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرينٌ يوسوسه و يغويه دائماً و قرئ يقيّض بالياء.
في الخصال عن امير المؤمنين عليه السلام من تصدّى بالإثم اعشى عن ذكر اللّه تعالى و من ترك الأخذ عمّن أمره اللّه بطاعته قيّض له شيطان فَهُوَ لَهُ قَرينٌ.
وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبيلِ و انّ الشياطين ليصدّون العاشين عن الطريق الذي من حقّه ان يسبل وَ يَحْسَبُونَ اي العاشون أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ.
حَتَّى إِذا جاءَنا اي العاشي و قرء جائانا على التثنية اي العاشي و الشيطان قالَ اي العاشي للشيطان يا لَيْتَ بَيْني وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ بعد المشرق من المغرب فَبِئْسَ الْقَرينُ انت.
وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ ما أنتم عليه من التمنّي إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ.
القمّي عن الباقر عليه السلام نزلت هاتان الآيتان هكذا حَتَّى إِذا جاءَنا يعني فلاناً و فلاناً يقول أحدهما لصاحبه حين يراه يا لَيْتَ بَيْني وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرينُ فقال اللّه لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله قال لفلان و فلان و اتباعهما لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ آل محمد صلوات اللّه عليهم حقّهم أَنَّكُمْ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ.
أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ انكار تعجّب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرّنهم على الكفر و استغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمىً مقروناً بالصّمم وَ مَنْ كانَ فِي ضَلالٍ مُبينٍ عطف على الْعُمْيَ باعتبار تغاير الوصفين و فيه اشعار بانّ الموجب لذلك تمكّنهم في ضلال لا يخفى.
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بكَ اي فان قبضناك قبل ان ينصرك بعذابهم و ما مزيدة للتأكيد فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ بعدك.
أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذي وَعَدْناهُمْ او ان أردنا ان نريك ما وَعَدْناهُمْ من العذاب فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ لا يفوتوننا.
في المجمع روي انّه صلّى اللّه عليه و آله اري ما يلقى ذرّيته من امّته بعده فما زال منقبضاً و لم ينبسط ضاحكاً حتّى لقي اللّه تعالى قال:
و روى جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال انّي لأدناهم من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في حجّة الوداع بمنى حتّى قال لا الفينّكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض و ايم اللّه لئن فعلتموها لتعرفني في الكتيبة التي تضاربكم ثم التفت الى خلفه فقال او عليّ ثلاث مرّات فرأينا انّ جبرئيل غمزه فأنزل اللّه على اثر ذلك فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ بعليّ بن أبي طالب.
أقولُ: انّما يكون ذلك في الرجعة.
و القمّي عن الصادق عليه السلام قال فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ يا محمد من مكّة الى المدينة فانّا رادّوك اليها و منتقمون منهم بعليّ بن أبي طالب عليه السلام و قد سبق في هذا المعنى اخبار اخر في سورة المؤمنين.
فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ.
القمّي عن الباقر عليه السلام إِنَّكَ عَلى ولاية عليّ عليه السلام و عليّ هو الصراط المستقيم.
وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ.
في الكافي عن الباقر عليه السلام نحن قومه و نحن المسئولون.
و عن الصادق عليه السلام ايّانا عني و نحن اهل الذكر و نحن المسئولون.
و عنه عليه السلام الذكر القرآن و نحن قومه و نحن المسئولون.
و في البصائر عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اهل بيته أهل الذكر و هم المسئولون.
وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ هل حكمنا بعبادة الأوثان و هل جاءت في ملّة من مللهم.

في الكافي و القمّي عن الباقر عليه السلام انّه سئل عن هذه الآية من ذا الّذي سأله محمد صلّى اللّه عليه و آله وكان بينه و بين عيسى خمسمائة سنة فتلا هذه الآية سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا قال فكان من الآيات التي أراها اللّه محمداً صلّى اللّه عليه و آله حين اسرى به الى البيت المقدّس ان حشر اللّه له الأوّلين و الآخرين من النبيّين و المرسلين ثمّ امر جبرئيل فأذّن شفعاً و اقام شفعاً ثم قال في إقامته حيّ على خير العمل ثمّ تقدّم محمّد صلّى اللّه عليه و آله فصلّى بالقوم فأنزل اللّه عليه وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا الآية فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على ما تشهدون و ما كنتم تعبدون فقالوا نشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له و انّك لرسول اللّه (ص) أخذت على ذلك مواثيقنا و عهودنا.

و في الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام في حديث و امّا قوله وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا

فهذا من براهين نبيّنا التي آتاه اللّه ايّاها و أوجب به الحجّة على ساير خلقه لأنّه لمّا ختم بـه الأنبياء و جعله اللّه رسولًا الى جميع الأمم و ساير الملل خصّه بالارتقاء الى السماء عند المعراج و جمع له يومئذ الأنبياء فعلم منهم ما أرسلوا به و حمّلوه من عزائم اللّه و آياته و براهينه فأقرّوا أجمعين بفضله و فضل الأوصياء و الحجج في الأرض من بعده و فضل شيعة وصيّه من المؤمنين و المؤمنات الذين سلموا لأهل الفضل فضلهم و لم يستكبروا عن أمرهم و عرف من أطاعهم و عصاهم من أممهم و سائر من مضى و من غبر او تقدّم او تأخّر و قد سبق نظير هذين الخبرين في سورة يونس عليه السلام.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَقالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ.

فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآياتِنا إِذا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ استهزؤا بها اوّل ما رأوها و لم يتأمّلوا فيها.

وَ ما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها وَ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ كالسنين و الطوفان و الجراد لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.

وَ قالُوا يا أَيُّهَا السَّاحِرُ قيل نادوه بذلك في تلك الحال لشدّة شكيمتهم و فرط حماقتهم او لأنّهم كانوا يسمّون العالم الباهر ساحراً و القمّي اي يا ايّها العالم ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ ان يكشف عنّا العذاب إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ.

فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ عهدهم بالاهتداء.

وَ نادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ في مجمعهم و فيما بينهم بعدكشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قالَ يا قَوْمِ أَ لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ النيل وكان معظمها اربعة تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَ فَلا تُبْصِرُونَ ذلك.

أَمْ أَنَا خَيْرٌ مع هذه المسلكة و البسطة مِنْ هذَا الَّذي هُوَ مَهِينٌ ضعيف حقير لا يستعدّ للرئاسة وَ لا يَكادُ يُبِينُ الكلام به من الرتّة فكيف يصلح للرّسالة و ام امّا منقطعةو الهمزة فيها للتقرير او متّصلة و المعنى أَ فَلا تُبْصِرُونَ فتعلمون انّي خير منه.

فَلَوْ لا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ اي فهلّا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقاً إذكانوا إذا سوّدوا رجلًا سوّروه و طوّقوه بطوق من ذهب و أَسْوِرَةٌ جمع أسوار بمعنى السوار و قرئ اسورة أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ مقارنين يعينونه او يصدّقونه.

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ استخفّ أحلامهم او طلب منهم الخفّة في مطاوعته و دعاهم فَأَطاعُوهُ فيما أمرهم به إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ أطاعوا ذلك الفاسق في نهج البلاغة و لقد دخل موسى بن عمران و معه اخوه هرون على فرعون و عليهما مدارع الصوف و بأيديهما العصا فشرطا له ان اسلم فلذلك بقاء ملكه و دوام عزّه فقال الا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العزّ و بقاء الملك و هما بما ترون من حال الفقر و الذلّ فهلّا القي عليهما أساور من ذهب اعظاماً للذّهب و جمعه احتقاراً للصوف و لبسه و لو أراد اللّه سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذّهبان و معادن العقيان و مغارس الجنان و ان يحشر معهم طيور السماء و وحوش الأرضين لفعل و لو فعل لسقط البلاء و بطل الجزاء و اضمحل الأنباء و لما وجب للقائلين أجور المبتلين و لا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين و لا لزمت الأسماء معانيها و لكنّ اللّه سبحانه جعل رسله اولى قوّة في عزائمهم و ضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم مع قناعة تملأ القلوب و العيون غنى و خصاصة تملأ الأبصار و الاسماع أذى و لوكانت الأنبياء اهل قوّة لا ترام و عزّة لا تضام و ملك تمدّ نحوه أعناق الرجال و تشدّ اليه عقد الرّحال لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار و ابعد لهم من الاستكبار و لأمنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مايلة بهم وكانت السيئات مشتركة و الحسنات مقتسمة و لكن اللّه سبحانه أراد ان يكون الاتباع لرسله و التصديق بكتبه و الخشوع لوجهه و الاستكانة لأمره و الاستسلام لطاعته أموراً له خاصة لا يشوبها من غيرها شائبة وكلّما كانت البلوى و الاختبار أعظم كانت المثوبة و الجزاء أجزل.